موقف القرآن من فتوى التكفير والإستتابة

يقول صاحب ماتسمى (فتوى شرعية) :

ان اللّه يجعل الاستهزاء بأوليائه وأحبائه استهزاءا وكفرا به

عبدالمجيد الريمي
من فتوى تكفير الصحفيين وتخييرهم بين الاستتابة او القتل

ويقول الله الواحد الأحد في القرآن الكريم

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨ المائدة)

صدق الله العظيم

لا يصح للمسلم أن يكفر غيره أو أن يقيم له محاكم تفتيش . فقد منح اللّه تعالى البشر كامل الحرية فى الإيمان به أو الكفر بذاته العلية، والدليل على ذلك واضح فى حياة البشر وفى أقوالهم وأفعالهم فى تاريخهم الماضى والحاضر..

والقرآن- كلام اللّه العزيز- فيه الإثبات على حرية البشر المطلقة فى الإيمان والكفر، يتضح ذلك فى قصص القرآن عن المشركين كما يتضح أيضاً فى حوار القرآن مع المشركين لإقناعهم بالعقل والمنطق، ولو لم يسمح اللّه لهم بالحرية ما كان ذلك الحوار وما كانت محاولة الإقناع، بل أن القرآن يؤكد على حرية البشر فى أن يؤمنوا أو أن يكفروا، وفى المقابل فإن مسئوليتهم تجاه هذه الحرية تتجلى يوم الحساب حيث سيحاسبهم رب العزة على اختيارهم،

يقول تعالى: (وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً) (الكهف 29).

- بل إن القرآن الكريم لم يصادر أقوال المشركين فى العيب فى ذات اللّه، فاليهود قالوا (إن اللّه فقير ونحن أغنياء)، وقالوا (يد اللّه مغلولة) وقال مشركو مكة وهم يرفضون إعطاء الصدقة (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ آمَنُواْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ) (يس 47).

- ومن الطبيعى أن يرد القرآن- كلام اللّه العزيز- على الأقوال التى تخالف دين اللّه تعالى، وهذا حق اللّه تعالى، وليس فقط لأن تعالى هو رب البشر وخالقهم وصاحب الدين الحق ولكن لأنه أيضا تعامل مع البشر بمنطق العدل، فقد أعطاهم حرية الإيمان والكفر، وحرية إعلان الكفر وحرية العيب فى ذاته الإلهية العلية والتقول على اللّه تعالى، وفى مقابل ذلك فإن من حقه أن يصفهم بالكفر والعصيان وأن يرد على افتراءاتهم وأقاويلهم وينفى عن ذاته العلية اتخاذ الولد والشريك، وتلك قضايا تخصه جل وعلا، ومن حقه الرد عليها.

إلا أن عدل اللّه تعالى تجلى فى التعامل مع طوائف البشر. فحين يحكم بالكفر فإنه تعالى يضع حيثيات الاتهام وأسباب الوصف فيقول مثلا (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ) (المائدة 72، 73).

فالحكم من اللّه ليس عاما وإنما هو خاص بمن يقول ذلك القول، وفى نفس الوقت فإن الذى يؤمن باللّه واليوم الآخر ويعمل صالحا من المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين فهم أولياء اللّه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، يقول تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة 62)

ويقول تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) (المائدة 69).

أى أن اللّه تعالى ليس منحازا لأحد، فمن يؤمن باللّه تعالى واليوم الآخر فهو من أولياء اللّه أصحاب الجنة، ومن يجعل اللّه له ولدا أو يجعل إلها مع اللّه فإن اللّه تعالى كفر عليه بالكفر.

وذلك هو ما يخص اللّه تعالى، فهو صاحب الدين وهو صاحب ومالك يوم الدين وهو الذى يرد على البشر إن أحسنوا فى العقيدة أو أساؤوا فيها.

إلا أن اللّه تعالى لم يعط أحدا من البشر الحكم على الآخرين الأحياء بالكفر، بل أمر اللّه تعالى المؤمنين بأن يكون حوارهم بالحكمة والموعظة الحسنة مع معاصريهم ومع تأجيل الحكم إلى اللّه تعالى يوم القيامة، وذلك ما كان مأمورا به خاتم النبيين عليهم الصلاة والسلام...

فاللّه تعالى يأمر بأن يكون الحوار مع أهل الكتاب بالتى هى أحسن، يقول تعالى: (وَلاَ تُجَادِلُواْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُواْ آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (العنكبوت 46).

فالجدال مع أهل الكتاب ممنوع إلا إذا كان بالتى هى أحسن... أى كان نقاشا موضوعيا بالحجة دون إساءة، أما «الذين ظلموا» فلا جدال معهم حتى لا يتطور الأمر إلى إساءة متبادلة، والله تعالى نهى عن الجدال الذى ينتهى إلى إساءة ويقول: (وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) (الأنعام 108). وعن الظالمين- أو بمفهومنا المتعصبين- يقول تعالى للنبى: (وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ. اللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (الحج 68، 69). أى أنه لا مجال للجدال العقيم مع المتعصب، والأفضل الإعراض عنه وذلك شأن المؤمن دائما، ويقول الله تعالى فى حال المؤمنين مع المتعصبين المتحفزين الظالمين (وَإِذَا سَمِعُواْ اللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) (القصص 55).

وبالمناسبة فتلك الآية الكريمة نزلت فى حال مؤمنى أهل الكتاب ونزلت مثلاً لكل مؤمن فى الحوار أو الجدال بالتى هى أحسن وتحاشى الجدل مع المتعصبين.

ولذلك فإن الجدال بالتى هى أحسن هو سمة الحوار بين المؤمنين بالقرآن ومؤمنى أهل الكتاب وذلك معنى قوله تعالى (وَلاَ تُجَادِلُواْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ).

- وحتى لا يقع المسلم فى اتهام أهل الكتاب بالكفر فإن القرآن يفرض صيغة محددة للحوار فيقول تعالى (وَقُولُواْ آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) أى تؤمن معاً باللّه الواحد وتؤمن بما أنزل إليكم وما أنزل إلينا، ونحن له مسلمون، ولم يقل مثلا «وأنتم كافرون» لأنه فيه من العلم أى بالقرآن فادعهم إلى المباهلة، أى الاحتكام إلى اللّه تعالى فى الدنيا، بأن يخرج الفريقان ومعهم الأبناء والنساء ويبتهلون إلى اللّه تعالى أن يلعن الكاذب منهما.. لم يقل القرآن للنبى إذا جادلوك فاحكم عليهم بالضلال والكفر ودخول الجحيم.. ولكن ابتهل إلى اللّه لكى تكون اللعنة من نصيب الكاذب من الفريقين، ومن الطبيعى أن كل فريق يعتقد الحق فى نفسه..

بقلم / **الشيخ الدكتور / احمد صبحي منصور**
عالم ازهري و مفكر اسلامي
و رئيس موقع (اهل القرآن)

أى أنه تصعيد وتأجيل للحكم إلى رب العزة لأنه وحده هو الذى يحكم بالكفر أو بالإيمان على عباده البشر، أما النبى فلا يملك أن يحكم بكفر أحد.

والقرآن فى دعوته لأهل الكتاب يحاول الحوار الراقى الذى يجب على المسلمين اتباعه، ويقول تعالى للنبى: (قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران 64).

- هذا هو الخطاب الراقى لأهل الكتاب أن ندعوهم إلى كلمة سواء نلتزم بها سويا، أن نعبد اللّه وحده دون شريك وألا نتخذ كهنوتا وأربابا من البشر، فإن رفضوا فلا نتهمهم بالكفر ولا نتحدث بأسمهم أو باسم اللّه ولكن نتحدث باسمنا فقط، فنقول لهم اشهدوا إننا بأننا أسلمنا للّه وحده..

لم يقل: فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون وأنتم كافرون، لأنه ليس من حق المسلم اتهام غيره بالكفر، وحسبه أن يعلن خضوعه للّه، وحسبه شرفاً أن يكون فعلاً عند اللّه كذلك..

والخلاصة أن اللّه تعالى هو وحده صاحب الحق فى أن يقول عن بعض أهل الكتاب (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ).

وهو وحده تعالى صاحب الحق أن يقول عن أهل الكتاب: (لَيْسُواْ سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ. يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ) (آل عمران 113، 114).

- اللّه وحده هو الذى (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) وهو الأعلم بحقيقة الإيمان عند الأفراد والطوائف والأمم. واللّه تعالى يقول (وَاللّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِّن بَعْضٍ) (النساء 25).

أما نحن البشر فإذا كنا ندعى الإيمان حقاً فيجب أن نلتزم بأوامر اللّه تعالى فى أن نقول للناس حسنا (وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً) (البقرة 83).

وأن نجادلهم بالتى هى أحسن، وهل هناك أروع من قوله تعالى فى آداب الدعوة والحوار (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّن دَعَا إِلَى اللّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (فصلت 33، 34).

وقد يقول قائل:- إن اللّه تعالى أمر رسوله أن يقول (قُل يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) أى اتهمهم بالكفر وقال لرسوله الكريم: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) (1-6 الكافرون).

والجواب: إن أعداء النبى فى مكة كانوا يفخرون بكفرهم ولم يعتبروا ذلك الاتهام بالكفر نقيصة بأى حال، بل دأبوا على اتهام النبى بالسحر والجنون والكذب واعتبروا الإيمان بالقرآن جريمة تستوجب الإيذاء والحرب..

وإذن فإن قول النبى لهم (يا أيها الكافرون) ليس فيه إساءة لهم بل هو خطاب لهم بما يحبون وبما يفخرون، والمهم أن فحوى الخطاب تقرر حرية العقيدة فى آيات السورة التى تنتهى بقوله تعالى (لكم دينكم ولى دين).

والأهم من ذلك هو آداب الحوار مع أولئك الذين كانوا يفخرون بكفرهم ويعتبرون الإيمان باللّه ورسوله. هل كان اللّه تعالى يأمر رسوله فى الحوار معهم- أن يتهمهم بالكفر وأن يحكم عليهم بدخول النار..

لنقرأ أسلوب الحوار الذى أمر اللّه به رسوله الصادق الأمين (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ) (سبأ 24) ثم يأمره- وهو رسول اللّه- أن يقول للمشركين أنا على هدى وأنتم فى ضلال، وإنما أمره أن يقول أحدنا على الهدى والآخر فى ضلال.

وتقول الآية التالية (قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلاَ نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) لم يقل: لستم مسئولين عن إجرامنا ولسنا مسئولين عن إجرامكم.

بل نسب الجرم لنفسه- وهو النبى- ولم ينسب إلى المجرمين إلا مجرد العمل.. إلى هذا الحد بلغت آداب الحوار مع المشركين المعاندين، وتقول الآية التالية (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ) (سبأ 26).

أى يؤجل الحكم بينهم وبينه إلى لقاء اللّه تعالى يوم القيامة.

وذلك بالنسبة للنبى فى حواره مع المشركين..

فلم يكن من خصائص النبى أن يتهم أعداءه الأحياء بالكفر.. وبالتالى فلم يكن من خصائصه أن يتهم مسلما حيا بالكفر..

- والله وحده العليم أن من يتهم غيره بالكفر يضع نفسه فوق النبى، بل ويتقصص الدور الإلهي الذى هو للّه وحده..

بين الجهاد والتكفير

الجهاد بالقرآن الكريم سلميا من أهم ملامح الجهاد الاسلامي، يقول تعالى(وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيراً) فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً(الفرقان 51-52) أن القرآن هو الرسول القائم بيننا طالما ظل هناك من يقرأ يتلى، وطالما هو محفوظ بقدرة اللّه جل وعلا الى قيام الساعة. ومهمة القرآن أن يقيم حجة اللّه تعالى على الناس الى قيام الساعة. النبى بشر مات ولكنه كرسول قام بتبليغ القرآن الذى سيظل رحمة للعالمين من عهده الى آخر دقيقة فى هذه الدنيا. محمد كبشر كان محدودا بالزمان والمكان والقرآن بعده يظل علما للهداية وحكما على الناس - خصوصا المسلمين - اذا تلاعب بهم الشيطان . والشيطان لم يقدم استقالته . سيظل يؤدى مهمته فى اضلال الناس الى قيام الساعة.

القرآن الكريم شرح مهمة ابليس وهى اضلالهم عن الطريق المستقيم أى وحى اللّه تعالى الحق، وخداع الناس بالأمنيات الباطلة أى بدخول الجنة مهما عصوا (الأعراف16-17)(النساء 118-120).

وهذه المهمة الشيطانية لها وسائل محددة تماثل وسائل الهداية وتقصد بها الوحى. فكما يوحى اللّه تعالى للأنبياء كذلك يوحى الشيطان لأوليائه. عن القرآن يقول تعالى :(وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)... (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ) وبعدها يقول تعالى عن الوحي الشيطاني (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ)(الشعراء 192-195..210 ، 212 .. 223-221).

تختار الشياطين أكثر البشر كذبا واثما (أفاك أثيم) ليتسلط على الناس بيث أكاذيبه يقنعهم أنها من عند اللّه تعالى أو رسوله. يسميها وحيا أو مناما أو هاتفا فى يقظة أو منام. ويلقى اليه الناس اسماعهم ، وأكثر المستمعين كاذبون يروى ويحكى عنه مصدقا له ،أو يكتب عنه ما يقول وينسخها أى يكتبها ويشاء اللّه تعالى أن يسمح بهذا التصرف فتتكاثر كتب الوحي الكاذب ونسخها (الحج 55-52). اولئك هم اعداء الأنبياء أو شياطين الانس بتعبير القرآن الكريم .يقول تعالى عنهم:(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا، ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون). ثم يقول تعالى عن المستمعين اليهوديين يهدا الوحى الضال:(وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ) ثم يجعل اللّه تعالى القرآن الكريم حكما على هذا الوحي الكاذب فيقول:(أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً ؟) (الانعام 112-113)

وهكذا يكون الجهاد بالقرآن ضد اولئك الذين افتروا على اللّه تعالى كذبا وكذبوا بآياته، وهم الذين جعلهم اللّه تعالى اظلم الناس جميعا: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ.) (الاعراف 37) (يونس 17).

انهم الذين افتروا على رب العزة وزعموا بأن كتابة ناقص ويحتاج الى إضافة، على الرغم من قوله تعالى : (مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ)(الانعام38). وهم الذين افتروا على رسول اللّه بوضع احاديث وروايات ما انزل بها من سلطان ونسبوها اليه، ثم جعلوها شريكا للقرآن لايقبله اللّه القائل : (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ)(المرسلات50).

الجهاد هنا فكري عقلى بالقرآن ليواجه الأكاذيب التى ينسبونها للّه تعالى ووحيه ورسوله. ليس الجهاد للأشخاص مثل الجهاد القتالى ولكنه موجه للوحى الكاذب نفسه يحتكم فيه لكتاب اللّه تعالى، محذرا المسلمين منه، وللنصح والتذكير وليس للسب والتكفير. وما نفعله هنا هو ذلك الجهاد القرآنى السلمى للتحذير وليس للتكفير.

قبل طرد ابليس من الملأ الأعلى – بسبب عصيانه الأمر الألهى بالسجود لآدم – قال ابليس متحديا رب العزة جل وعلا عن ذرية آدم . أى عنا :(قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)(الأعراف16-17)

وهو أن اللّه تعالى كشف الاعيبه وأوضح وسائله الا أنه ينجح دائما فى خداع الأكثرية من البشر حتى الآن والى قيام الساعة ، والسبب انه لا يقدم لهم نفسه كشيطان عدو للرحمن ولكن من خلال اسلام مغشوش يحمل اسم الاسلام زورا وبهتانا عبر أحاديث منسوبة للّه تعالى ورسوله الكريم، ولا تخلو من زخرف القول وما تشتهيه النفس وتتمناه. وهنا يكون جهادا واجبا أن نبرىء الاسلام من هذا الزيف باللجوء للقرآن والاحتكام اليه فى هذا الغش والزيف املا فى هداية المخدوعين بزخرف الشيطان وغروره.

واللّه تعالى أخبر مقدما فى القرآن الكريم بما سيقوله للبشر الضالين يوم القيامة وقد خدعهم ابليس جيلا بعد جيل بسبب التقليد وعبادة المتوارث والتراث دون فهم او تعقل. سيقول تعالى لهم جميعا يوم القيامة يذكرهم بمانسوه:(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (يس 60- 63)

- وفى جهنم سيجدونه يقول: (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم) (ابراهيم23) لم يدعهم بنفسه أو بصوته وانما بأسمائهم الذين ينشرون وحيه الكاذب المناقض لكتاب اللّه تعالى... وحتى ننجو من هذا المصير لا بد من عرض عقائدنا على كتاب اللّه لننظف منها الأحاديث المفتراة ، وهذه وظيفة العلماء الذين قال اللّه تعالى عنهم:(يَرْفَعِ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (المجادلة 11) وهى أيضا وظيفة الأشهاد الذين يجاهدون بالقرآن سلميا فى هذه الدنيا لأظهار الحق وازهاق الباطل .وقد وعدهم اللّه تعالى بالنصر فى الدنيا وأن يكونوا شهداء على أقوامهم فى الآخرة (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم (وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)(غافر51-52).

والخلاصة هنا أن الجهاد لتوضيح الحق القرآنى وتبرئة الاسلام من مفتريات الشيطان لا صلة له بالتكفير لأنه يواجه العقائد ويسعى لانقاذ الأشخاص من الضلال بالقرآن وليس لتكفيرهم..

أما الكهنوت فله شأن آخر. فمن طبيعة الكهنوت أن يدعى التحدث باسم اللّه، ولذلك فإنه حيث يوجد الكهنوت يوجد اتهام بالكفر وتوجد محاكم التفتيش، وتوجد صكوك الإيمان والغفران، وليس فى الإسلام كهنوت، ولنتذكر أن اللّه تعالى دعا أهل الكتاب لنبذ الكهنوت حين قال (قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران 64).

وذلك هو واقع الإسلام.. لا مجال فيه للأرباب والكهنوت والوسائط، أما واقع المسلمين التاريخى فقد عرف تقديس الأولياء والفقهاء والأئمة، بحيث أصبح من المقرر أن انتقادهم يعتبر هجوما على الإسلام واستهزاءً بأولياء اللّه واحبائه. وتلك نفس عقيدة رجال الكهنوت الذين يعتبرون أنفسهم وأئمتهم الممثلين للدين والمتكلمين باسم اللّه.

ولذلك فإنه من الإنصاف للإسلام أن نبرئه من أعمال المسلمين التى تخالف كتاب اللّه العزيز. التبرئة من «اعمال» وصفات وعقليات وليس تكفير اشخاص أحياء،لأن هذا ليس من حقنا حتى وان اختلفنا معهم دفاعا عن حقوق اللّه التى يغتصبونها !! ودفاعا عن رسول اللّه الذي يفترون عليه.

والخطورة فى وجود الكهنوت أنه حين يحكم بكفر إنسان يقيم له المحاكم التفتيشية ويحكم عليه بالقتل.. وتلك مخالفة أخرى لتشريع القرآن فالنبى نفسه لم يحدث أن أقام محاكم تفتيش للمنافقين فى المدينة وقد كان فيها الحاكم المطاع، وكان المنافقون يمثلون المعارضة السياسية والدينية، وكانوا يتآمرون عليه فى أوقات السلم وأوقات الحرب، بما يستوجب فى الدولة الديمقراطية أن يحاكموا بتهم قد تصل إلى درجة الخيانة العظمى.

والتاريخ يثبت أن محاكم التفتيش واضطهاد المخالفين فى العقيدة يأتى دائماً فى عصور وأنظمة الاستبداد التى يسيطر فيها الكهنوت،وتنتشر فيها براعة وتقديس البشر من الأئمة والأولياء والأحبار والرهبان لارغام الآخرين على الاستسلام لهذا الضلال ، بينما ينعدم ذلك فى عصور التدين الصحيح المرتبط بحرية التدين وعدم الاكراه فى الدين..

ففى عصر الرسول والخلفاء الراشدين لم يعرف المسلمون محاكم التفتيش أو حد الردة المزعوم.. مع أن الدولة البيزنطية كانت تضطهد الأقباط المصريين وتقيم لهم محاكم التفتيش بسبب الخلاف فى طبيعة المسيح عليه السلام، لذلك كان ترحيب المصريين بالفتح العربى لأنهم كانوا يتوقون لمن ينقذهم من الاضطهاد الرومانى الدينى..

ثم ما لبثت العدوى أن انتقلت للمسلمين فى عصور الاستبداد والخلفاء غير الراشدين فعرف المسلمون محاكم التفتيش وحد الردة وذلك لأسباب خاصة لا شأن للإسلام بها، بل هى فى الدفاع عن مقولات الكهنوت الباطلة من تقديس البشر وتسويغ الاستبداد الدينى والسياسى.

إن اللّه تعالى لم يضع تشريعا لمعاقبة الذين يسارعون فى الكفر بعد الإيمان لأنهم كما قال اللّه تعالى (لن يضروا اللّه شيئا).

أما الكهنوت الدينى والسياسى فهو يلجأ لمعاقبة الخصوم لأن أولئك الخصوم سيضرونهم شيئاً وأشياء.

والعادة أن الكهنوت يقوم على أسس خرافية تجافى العقل وتعارض الحق وتنافى دين اللّه تعالى، وحيث تنعدم الحجة فالسبيل الوحيد هو استعمال القوة.. ولذلك يقيم الكهنوت يوماً للحساب قبل يوم الحساب ويعقد محاكم التفتيش قبل يوم القيامة ويزعمون أنهم يحكمون باسم اللّه مع أنهم فى الحقيقة يغتصبون حقوق اللّه..

لقد وضعوا تشريعات لمحاكم التفتيش تحت عنوان «استتابة المرتد».

وأعطوا أنفسهم حق الاستتابة. مع أن التوبة لا تكون من العبد إلا إلى ربه وحده فاللّه وحده هو الذى يتوب على التائب ولم يعط اللّه تعالى حق الاستتابة لغيره.

إن اللّه تعالى يقول للمؤمنين (وَلا يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُواْ أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ويقول (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ تُوبُواْ إِلَى اللّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً) .

وفى سورة الحج هو الذى يتوب على المؤمنين (لَقَدْ تَابَ اللّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة 117).

وليس للنبى نفسه حق الاستتابة أو غفران الذنوب واللّه تعالى يقول للنبى (لِيَسْ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ. وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (آل عمران 128، 129).

ولأنه لا إله إلا اللّه فإنه لا يتوب عليه البشر ولا يملك الاستتابة إلا اللّه وحده وبذلك أمر اللّه رسوله أن يقول (قُلْ هُوَ رَبِّي لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ) (الرعد 30). أى إليه وحده أتوب..

وذلك ما كان النبى يقوله..

أما الكهنوت فيرفع نفسه فوق النبى، فإذا كان النبى ليس له فى الأمر شىء فللكهنوت كل شىء، وإذا كانت الاستتابة والتوبة على البشر ومحاكمتهم على عقائدهم للّه وحده فإن الكهنوت يجعل نفسه شريكا مع اللّه ويعطى لنفسه حق محاكمة خصومه وحق عقابهم على آرائهم وأفكارهم التى تخالف آراء الكهنوت تحت عنوان «استتابة المرتد».

الذي يصدر فتاوى تبيح قتل النفس ، يقتل الناس جميعاً .. والذي يتصدى لهذه الفتاوى ويظهر بطلانها ، ينقذ من شرها الناس جميعاً

موقف القرآ